ملخص باللغة العربية

الحالة الراهنة للعلاقات الإنسانية العربية الصينية... الأساس والتحديات

ترجمة : محسن فرجاني
أستاذ اللغة الصينية
كلية الألسن، جامعةعين شمس

مقدمة :

تصاعدت القوة الشاملة للصين وبرزت مكانتها الدولية، منذ مطلع القرن الحادي والعشرين، ومع هذا فما زالت حالة "التفوق الغربي مقابل الضعف الإقليمي" [الغرب القوي/الأنا الضعيف] ثابتة دون تغيير جذري، إن التناقض الكامن بين الوجه الحقيقي لقوة الصين كما تريد أن تبرزها في علاقاتها الخارجية وبين الانطباع المتشكل لدى العالم الخارجي عن الذات الصينية يعكس عدم التوازن بين القوة الصلبة والناعمة لها بشكل حقيقي. وتحت مزيد من المطالب الملحة للعمل على تطوير استراتيجية صينية تجتهد وتحث على مزيد من فهم العالم للصين وتنمية القوة الناعمة فقد تزايدت في السنوات القليلة الماضية أهمية وجود استراتيجية صينية للتبادل الإنساني. إن مسار تطور العلاقات العربية الصينية من علاقات شراكة من طراز حديث إلى علاقات تعاون استراتيجي ثم إلى علاقات شراكة استراتيجية ينسجم مع الاتجاه العام لمسار علاقات الصين مع الدول النامية، وهو مكوّن رئيسي ومهم في شبكة علاقة الصين بالشراكة العولمية. والعلاقات الإنسانية تعمل على تنمية علاقات الشراكة الاستراتيجية الصينية العربية وتقوم بدور بالغ الأهمية في خدمة تطور الإصلاح الصيني، داخلياً.

معظم الدراسات التي قامت بها الأوساط البحثية في مجال التبادل الإنساني بين الصين والدول العربية توجد بشكل متناثر في كتابات ومؤلفات متنوعة تناولت العلاقات البينية والتبادلات بين الصين والشرق الأوسط والدول الإسلامية والتعاون بينها، وتنطلق هذه الدراسات البحثية من ثلاث زوايا رئيسية: أولها يبحث في العلاقات الإنسانية بوضعها في إطار التبادلات التاريخية العربية الصينية، وثانيها يضع بؤرة اهتمامه في بحث التبادلات الإنسانية بين الصين وكل بلد عربي على حدة. وثالثها

يبحث في التبادلات الإنسانية البينية في سياق مجالات محددة. وبشكلٍ عام فقد تركزت كل هذه الزوايا البحثية على مغزى ما تقوم به هذه العلاقات من تنمية لأوجه التبادل والتعاون الشامل، لكنها لم تتعمق في رصد الأساس الواقعي والخصائص العامة ومجالات التحدي التي تواجهها هذه التبادلات الإنسانية.

الحالة الراهنة للعلاقات الإنسانية العربية الصينية

في أبريل ١٩٥٦ تم توقيع "اتفاقية التعاون الثقافية بين جمهورية الصين الشعبية وجمهورية مصر" لتبدأ مسيرة التبادل الإنساني على المستوى الثنائي بين الصين والدول العربية، كانت ثمرتها قيام حكومة الصين بإيفاد بعثات دراسية، للمرة الأولى، إلى مصر. ومن خمسينيات القرن العشرين إلى أواخر سبعينياته كان نطاق التبادل الإنساني بين الصين والدول العربية محدوداً بتأثير الخط الأساسي الذي التزمته الصين في علاقاتها الخارجية إزاء مقاومة الامبريالية والهيمنة والاستعمار، بصبغته الأيديولوجية الكثيفة. وفي ١٩٧٨ نفذت الصّين سياسة الإصلاح والانفتاح وشهدت سياستها الخارجية تحولًا شاملًا، كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني قد أقامت (١٩٨٠) مجموعة الدعاية الخارجية، لتتولى أعمال الدعاية. وفي سياق تحول جهود التبادل الإنساني إلى مسار صحيح، تزايد عدد الطلبة العرب الوافدين إلى الصين في ثمانينيات القرن العشرين، وفي ١٩٩٠ أُقامت الصين علاقات دبلوماسية مع كل الدول العربية، حيث صارت التبادلات الإنسانية، بالتدريج، محتوى بالغ الأهمية في العلاقات العربية الصينية، وبعد وقوع حادث "٩,١١" في ٢٠٠١ [هجمات سبتمبر] تبدلت أوضاع الشرق الأوسط بصورة عميقة وتأثرت العلاقات بين الدول العربية والولايات المتحدة، مما أتاح فرصة لتعميق العلاقات الصينية العربية، وفي ديسمبر من العام نفسه تأسست منتديات التعاون بين الطرفين، فدخلت العلاقات الودية البينية مرحلة جديدة. وفي ٢٠٠٤ تأسس "منتدى التعاون بين الصين والعرب" وفي ٢٠١٠ أقامت الصين والدول العربية "علاقات التعاون الاستراتيجي والشامل والتطور المشترك" لتؤسس قاعدة سياسية للتعاون والتبادل الإنساني، وفي يناير ٢٠١٦ نشرت الحكومة الصينية "الوثيقة السياسية الصينية إزاء الدول العربية" ترسيخًا لمبدأ يقود مسار تطور العلاقات ويؤسس لوضع خطة كاملة للتعاون الشامل بين الجانبين في خمسة مجالات:

السياسة، والتجارة والاستثمار، والتنمية الاجتماعية، والتبادل الإنساني والأمن والسلام؛ حيث شهد التبادل الإنساني بين الجانبين طفرة بالغة الأهمية. وفي يوليو ٢٠١٨ عقدت الدورة الثامنة لمنتدى التعاون الصيني العربي على مستوى الوزراء، حيث وافق الطرفان بالإجماع على إقامة "علاقات شراكة استراتيجية صينية عربية للتعاون الشامل والتطور المشترك انفتاحاً على المستقبل"؛ مما أبرز المغزى الاستراتيجي للتبادل الإنساني بين الصين والعرب.

وفي مسار الاتصالات العربية الصينية، كانت التبادلات الإنسانية هي المحتوى المهم في عملية تنمية التعاون الجمعي والعلاقات بين الجانبين، بمثل ما كانت تفعيلًا لقوى التعاون والتواصل في كافة المجالات بينهما، وفي السنوات القليلة الماضية، تنوعت أشكال التبادل الإنساني العربي الصيني وازداد مضمونها ثراءً واجتنى حصاد التعاون بينها وفرةً، وهو ما تجلّى واضحاً في خمسة مجالات، هي: التعاون التعليمي، والدراسات الأكاديمية، الطبع والنشر، الميديا والإعلام، التبادل الشعبي [تبادل الوفود الشعبية].

١. في المجال التعليمي، تواصل تعميق التعاون التعليمي بين الصين والدول العربية، حتى أصبح من أهم مكوّنات علاقات الشراكة الاستراتيجية بينهما، حيث انتقل ميدان التعاون من مجالات تقليدية مثل: تعليم اللغات وتبادل البعثات الدراسية في الموضوعات الفنية إلى تأهيل الكفاءات، وإقامة الهيئات التعليمية بالخارج، والتعليم المهني. كانت وزارة الثقافة الصينية قد عملت على دفع التبادل والتعاون بين شباب المتخصصين في الدراسات الصينية والأكاديميات الصينية التعليمية والثقافية، وذلك عبر التدريس المكثّف والدراسة المتخصصة والدراسات الميدانية، تحت إشراف "الخطة البحثية للشباب الأجانب المتخصصين في الصينيات" التي أشرفت عليها الوزارة، بغية رفع المستوى الأكاديمي، وتنمية المعرفة بالصين. وكانت وزارة الخارجية الصينية بالاشتراك مع وزارة التعليم قد أقامتا "الخطة المترابطة لتنمية الترجمة بين الصينية والعربية" وهي التي تحولت إلى إحدى أهم منصات تأهيل المرجمين على مستوى رفيع بين اللغتين، وعملت على دفع التبادل الثقافي بين الجانبين. وفضلًا عن هذا فقد أوضحت "الخطة التنفيذية لمنتدى التعاون العربي

الصيني من ٢٠١٨ إلى ٢٠٢٠" أن الصين سوف تقدم للدول العربية برامج بمؤهلات دراسية للباحثين المتخصصين في الدراسات النووية، في محاولة جديدة لتقوية لدعم الاستخدام السلمي للطاقة النووية في إطار التعاون التعليمي بين الصين والعرب.

٢. في مجال الدراسات الأكاديمية، تضاعفت موضوعات البحث التي تهم الأوساط الحكومية والأكاديمية بين الصين والبلدان العربية واكتسبت مغزى أكثر واقعية، وبشكل عام فقد اتسمت الندوات الأكاديمية بين الجانبين بصبغة رسمية كثيفة، إلا أنها بدأت في السنوات الأخيرة تتجه تدريجيًا إلى المستوى شبه الرسمي، ثم إن موضوعات تلك الندوات تحولت من مناقشة العلاقات السياسية والاتصالات التاريخية بين العرب والصين، والأوضاع في المنطقة العربية والتعاون التعليمي والتجاري إلى التوسع في تناول التعاون في مجال إنتاج الطاقة ومجال الميديا والعلاج والصحة والسياحة والبيئة والعلوم والتكنولوجيا والزراعة ونبذ التطرف. هذا وقد شهدت أنماط إقامة الندوات تحولا ظهر في الاتجاه إلى التوسّع، ففي خلال السنوات القليلة الماضية أقامت الجهات المسئولة عن تنظيم ندوات الجانب الصيني، من جامعات وهيئات علمية وميديا وسفارات في الدول العربية تعاونًا إيجابيا مع الهيئات الحكومية العربية والوزارات واللجان والمؤسسات والجامعات وخزّانات الفكر والهيئات الأكاديمية في تنظيم الندوات، حيث ظهرت أنماط متعددة في هذا السبيل، مثل: "السفارة + الوزارة واللجنة/الهيئة الأكاديمية"، و"السفارة + خزانات الفكر" و"السفارة + المؤسسة" و"السفارة + الهيئة الأكاديمية" و"الجامعة + الهيئة المحلية/الهيئة الأكاديمية". وكان من شأن التحول في أنماط إقامة المؤتمرات والتوسع في الهيئات المشاركة أن اتسعت قناة التبادل الأكاديمي بين الجانبين، ليشكل منصات نقاشية أكاديمية رسمية وشبه رسمية، ومثلًا فمنذ ٢٠١٤ حتى الآن أقامت سفارة الصين في مصر ندوات أكاديمية متخصصة مع مركز الدراسات الاستراتيجية المصري، ومركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام، ومركز المعلومات واتخاذ القرار، وجامعة قناة السويس.

٣. في مجال الطبع والنشر تم دفع الجهود الأكاديمية بين الجانبين الصيني والعربي

ونشاط الترجمة المتبادل في الكلاسيكيات ونشر الثقافة؛ بالدرجة التي زادت من الاهتمام الفعلي بالقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية العربية لدى الباحث الصيني، وبالمقابل فقد تعاظم اهتمام الباحثين العرب بملاحظة التجربة السياسية والاقتصادية ونموذج التطور الصيني. ومن حيث المحتوى فقد اشتملت المطبوعات الصينية على أربعة أقسام: أولها، الدراسات السياسية التي تقوم بمتابعة ودراسة وتحليل الأحوال السياسية القائمة في المنطقة العربية، وثانيها، الدراسات المتخصصة المتركزة على المشاكل الكبرى في المنطقة العربية، وثالثها، الدراسات القائمة على دراسة حالة دولة بعينها من الدول العربية، ورابعها، دراسات العلاقات العربية الصينية.

٤. في المجال الإعلامي توسعت أطر التعاون وأشكاله بين الهيئات الإعلامية الصينية والعربية، من الميديا الورقية إلى الرقمية، علماً بأن الهيئات الإعلامية التقليدية العاملة في مجالات الإعلام العربي والصيني مازالت تقوم بدور مهم في اتجاهات الرأي العام. وكانت هيئات إعلامية صينية مثل: وكالة أنباء شينهوا، وصحيفة "رنمين ريباو" [صحيفة الشعب اليومية] و"كوانغ مينغ ريباو" [صحيفة النور اليومية] و"جينجي ريباو" [صحيفة الاقتصاد اليومية] ومحطة الإذاعة والتليفزيون العالمية الصينية قد أنشأت لها فروعاً ومراسلين في عدد من الدول العربية. وبدءاً من العام ٢٠١٢ كانت المحطة العالمية للإذاعة والتليفزيون المركزي الصيني قد وجدت لنفسها موطئ قدم في موريتانيا، وجزر القمر وجيبوتي، أما محطة الإذاعة والتليفزيون الصيني المركزي فقد استطاعت أن تحقق تغطية كاملة في المنطقة العربية، وحققت قنوات التليفزيون المركزي CCTV تواجداً في الصومال بالإضافة إلى واحدٍ وعشرين دولة عربية أخرى، ومن جهة أخرى ففي الوقت الحالي لم تقم سوى ثلاث هيئات إعلامية رسمية عربية أنشأت لها مكاتب في بكين، هي: وكالة أنباء الشرق الأوسط (مصر) ومحطة تليفزيون الجزيرة (قطر) ووكالة الأنباء العربية (المغرب). في أوائل عام ٢٠١٦ وأثناء زيارة رئيس الدولة الصيني شي جين بينغ إلى ثلاث دول بالشرق الأوسط بدأ التعاون بين وكالة أنباء شينهوا و صحيفة الأهرام (مصر) وصحيفة الرياض (السعودية). وكان من شأن تطورات

الصيغ الإعلامية أن أدخلت المجال الإعلامي العربي الصيني إلى العصر الرقمي، وفي الوقت الراهن فإن وسائل الميديا وطرق التعاون فيها تتضاعف باطراد، ثم إن استخدام التليفزيون الرقمي (عبر الأقمار الصناعية) ومواقع الانترنت والهاتف المحمول استطاعت أن تخترق الوضع الأحادي التقليدي في الإعلام. واستطاع اثنا عشر موقعًا إخباريًا مركزيًا على الانترنت، وشبكة لوكالة أنباء شينهوا، وشبكة لصحيفة الشعب اليومية وشبكة الصين والخط الدولي ومحطة التليفزيون الصيني الافتراضية قد أقامت جميعًا محطات باللغة العربية على الشبكة العالمية للانترنت، وبالمقابل، فليس هناك سوى ثلاث دول عربية استطاعت أن تنشئ صفحات باللغة الصينية، هي محطة تليفزيون الجزيرة (قطر) ووكالة الأنباء السعودية ومركز الخدمات الإخبارية (مصر).

٥. في مجال تبادل الوفود الشعبية كانت نشاطات الدبلوماسية الشعبية والتبادل الثقافي يؤكدان أهمية الجسور الفعالة في تقوية العلاقات الودية التقليدية وإبراز عناصر الجاذبية الثقافية؛ ذلك أن الدبلوماسية الشعبية كانت بمثابة طاقة مكملة وداعمة للدبلوماسية الرسمية، إذ أخذت على عاتقها تحقيق مهام الانسجام مع أنشطة الدبلوماسية الرسمية بمعناها الشامل، واجتذاب الرضا الشعبي، ودفع التواصل الودي التقليدي والتعاون على المستوى الدولي والتطور المشترك، ومن الناحية الدبلوماسية الشاملة فقد كانت المنظمات والشخصيات الودية والنخب الاجتماعية والقوى الشعبية هي القوة الأساسية في الممارسة العملية للدبلوماسية الشعبية. وأثناء التنسيق لزيارة الرئيس الصيني شي جين بينغ إلى مصر في ٢٠١٦ قامت جمعية صداقة الشعب الصيني مع الدول الخارجية بإقامة حفل توزيع "جائزة الإسهام المتميز في الصداقة العربية الصينية"؛ حيث وضعت الصين مثلًا نموذجيًا للدبلوماسية الشعبية التي تعمل في خدمة الدبلوماسية التقليدية.

الأسس الحقيقية للتبادلات الإنسانية الصينية العربية وخصائصها

مع تنامي العلاقات العربية الصينية بمعناها الشامل، فقد كان الموقع الحضاري لكل من الجانبين والتلاقي بين النظرية القيمية الحضارية لهما ترسخان أساسًا حقيقيًا للتبادلات الإنسانية. وكانت الحكومة الصينية قد أصدرت في يناير ٢٠١٦ "وثيقة

استراتيجية الصين إزاء الدول العربية" حيث جرت صياغة على أعلى مستوى للتعاون الشامل في خمسة مجالات للتبادل الإنساني بين الجانبين. وفي يوليو ٢٠١٨ وافق الطرفان الصيني والعربي على رفع مستوى التعاون والعلاقات الاستراتيجية إلى درجة الشراكة الاستراتيجية الشاملة، ومن ثم فقد كان تعميق العلاقات الإنسانية العربية الصينية يرفع من درجة العلاقات بين الجانبين ويدعم المطلب الحقيقي للتعاون والعلاقات المشتركة، فضلًاعن أنه كان تجسيداً لمغزى الارتفاع بقيمة التبادلات الإنسانية في استراتيجة الصين تجاه الدول العربية، على خلفية مبادرة "الحزام والطريق". هذا وقد أظهرت مسيرة التبادلات الإنسانسية بين الجانبين خصائص جديدة، أهمها ما يطبع هذه الاستراتيجيات بالقدرة على الاستمرار لمدى طويل، وثمة وثائق من وجهة النظر الصينية تعمل على قيادة ودعم استراتيجية التبادلات الإنسانية مع الدول العربية، منها "الخطة التنفيذية لمنتدى التعاون العربي الصيني ٢٠١٨ – ٢٠٢٠ " (تم إصدارها في يوليو ٢٠١٨) والتي من شأنها، مع غيرها من المنصات والهيئات والمجالات، من حيث الشكل والمضمون، أن ترفع من قدر القوة الناعمة الصينية وتدعم الفاعلية الكاملة للتبادلات الإنسانية، وذلك وفق خطة محددة. ثم إن التبادلات الشبابية بين الجانبين قد حظيت باهتمام واضح، حيث كان هذا البند أحد أهم محتويات التبادلات، لدعم الحوار بين أجيال الشباب بين الطرفين وتقوية بناء قوة قيادية شبابية، والكشف عن الحس العصري المشترك في أفكارالشباب ومفاهيمهم القيمية، وكان الجانب الصيني قد طرح على الدول العربية تنفيذ "خطة إيفاد الباحثين العلميين والنخب الشبابية المتفوّقة إلى الصين" تشجيعًا لتبادل الكفاءات العلمية الشبابية. إن التبادلات الإنسانية أرست قاعدة للنوايا الاجتماعية الطامحة إلى تفعيل مجالات التعاون بين العرب والصين، كما أن طاقة تطور التبادلات الإنسانية عند الجانب الصيني لم يقتصر مصدرها على الدعم الاستراتيجي على المستوى الرسمي بل كان ثمة مطالب حقيقية على المستوى الشعبي نحو تعميق التعاون والتفاهم المشترك.

التحديات التي تواجه التبادلات الإنسانية العربية الصينية

رغم تأسيس علاقات الشراكة الاستراتيجية العربية الصينية وما قدمته من قوة حقيقية لتعميق مجالات التعاون، فلا يمكن إنكار سلسلة من المشاكل الحقيقية القائمة

في عملية التبادلات الإنسانية، أهمها: اضطرابات الأوضاع في المنطقة العربية وتبدّلات الأوضاع الداخلية، وتشوّش الخطاب، ونقص المنتجات الثقافية وانخفاض مستوى الدقة في النشر الثقافي؛ حيث تؤثر الأوضاع المضطربة على استقرار ودوام التبادلات الإنسانية، وأضعفت من فاعليتها الحقيقية. كما أن ما تبثه الميديا الغربية ينتشر في ربوع العالم وقد أصبح لفترة طويلة هو وسيلة التعرف على ما يدور عند الجانبين الصيني والعربي، ثم إن ماختلقته الدول الغرب من مزاعم حول "التهديد الصيني" و"نظرية الهيمنة الصينية" و"الانهيار الصيني" ونظرية شبه الاستعمار الجديد" وغيرها من الآراء العامة السلبية تقوم بالتشويش على التبادلات الإنسانية والتفاهم المشترك. ومثلًا فإن قناة الجزيرة (قطر) وغيرها من الميديا الوطنية لدول الشرق الأوسط اختلقت مزاعم بشان مسألة الأديان في مناطق الأقليات القومية الصينية، وغيرها من الحقائق الاجتماعية الصينية؛ وقد بلغت من تأثيرها ومساحة تغطيتها الواسعة وضعًا يتعذر معه على الجانب الصيني أن يستطيع في وقت قصير أن تقوم بملافاة الآثار السلبية الناجمة عن بثها. وثمة تحد آخر للتبادلات بين الجانبين يتمثّل في نقص المنتجات الثقافية سواء في مجال الميدًيا أو المطبوعات والنشر أو التبادلات الشبابية أو التعاون بين خزائن الفكر [النُّخب الذكية]، وبالمقارنة بين ما يتم تبادله بين الصين وأوربا وأمريكا وبين التبادل الإنساني بين الدول العربية ودول أوربا وأمريكا، فما تزال المنتجات الثقافية بين الطرفين العربي الصيني غير كافية.